

بعد الحرب على غزة بدأ ركوب الموجة



عدي صادق
كاتب وسياسي
فلسطيني

ربما يكون عضو مركزية عباس وأمين سرها جبريل الرجوب قد أراد ركوب موجة النصر الذي يُوصف في أدق تعبيراته بكونه نصرا مجازيا، بمعنى أنه نتاج فعل عسكري، لم يمكن إسرائيل من تحقيق أهدافها الأمنية من القصف الكثيف لغزة وما أحدثه من دمار، وما تسببت فيه من خسائر في الأرواح، ربعها من الأطفال. فقد استشعر الرجوب وجماعة الرئيس الفلسطيني أن الرأي العام في بلادهم بات يميل بقوة راجحة إلى المقاومة، وأن حماس حصرا هي التي استفادت من هذا الميل العام.

تصريح الرجوب لن يعود عليه وعلى الرئيس عباس بأي فائدة لا على مستوى الرأي العام ولا على المستوى السياسي ولا على الصعيد التطهر من أثار مرحلة طويلة تخللتها كل الانحرافات

وكان لمحاولة ركوب الموجة، طريقان، أحدهما، عبر عنه حسين الشيخ عضو مركزية عباس، باعتبار "النصر بامتياز" قد تحقق بفضل "صمود وكبرياء رئيس الشعب الفلسطيني، وهو الرئيس محمود عباس". وبحكم أن ما قاله الشيخ سوف يجلب عليه سخرية مؤكدة، لأن ذهنية الفلسطينيين مازالت تحتفظ بقول عباس أكثر من مرة إنهم يعيشون تحت البسطار الإسرائيلي، وحاول أن يفتنهم بالتسليم لهذه

الفرصة؛ فإنهم على قناعة بان رئيس الفلسطينيين الذي يمتلك كل شيء من السلطة وأدوارها، يفتقد للإحساس بالكبرياء وتحديدا، أو لا معنى لأي صمود في أدائه، فضلا عن كونه غير ذي علاقة بـ"النصر" الذي يتحدث عنه كل من الرجوب والشيخ؛ لكن الارتجال في التصريحات، وهو سمة القول عند رموز السلطة الفلسطينية؛ لا يتوافق مع واقع سباقات هؤلاء الرموز، التي باتت مكروهة من قبل الشعب الفلسطيني. صحيح أن الرجوب والشيخ لن يتأخرا في تحليل هذه اللغة للإسرائيليين، طلبا لتغاضيبهم عنها باعتبارها عدة الشغل. لكن الصحيح أيضا، أن ضالة الوعي السياسي هي التي تجعل من يحاولون ركوب الموجة عاجزين عن التحدث بلغة أكثر ذكاء، قد تساعدهم على إقناع جزء من الفلسطينيين بأن ما يقولونه فيه شيء من الحكمة. كان بمقدورهم أن يحددوا عدة عناصر قبل أن يندفعوا إلى الكلام، وأن تشمل هذه العناصر الإشارة إلى الاستفزازات والتداعيات اليومية للمستوطنين، ومساندة حكومة تصريف الأعمال الإسرائيلية لهم، واتساع نطاق الحرج والألم الذي يشعر به الفلسطينيون لما يجري في القدس، ثم انحصار حماس في الزاوية. أي كان بمقدورهم الإشارة إلى الأسباب الإسرائيلية للحرب، وإلن يؤس الحال في القدس، واستغاثة المقدسين بحماس. فقد كانت الاستغاثات ذات معنى ضمنى يقول لحماس إنك تحكمن غزة بشفاعتكم خطابك المقاوم، عليك أن تمارسي دورك ولا تلغزمي بموقف المتفرج. وكان بمقدور رموز السلطة أن يضيفوا إلى عناصر القول، ما يفيد بقناعة السلطة، بأن المقاومة حق من حيث المبدأ، لكنه حق محبط لأسباب موضوعية، وأن يعترفوا بالعجز عن ممارسة العمل المسلح، ويرحبوا به إن أتبع لغيرهم، عندما يكون امرا لا بد منه!

لكن المفارقة، أن أي طرف آخر، غير حماس، حتى ولو كان من المشاركين معها، أو أكثر منها، في إطلاق الصواريخ، لن يجني ربحا من النصر المجازي، لأن حماس، أولا، هي السلطة في غزة. وثانيا، لأن شريكها الوازن، هو حركة الجهاد لا يريد سلطة ولا شرعية دستورية وإنما شرعية مقاومة. وثالثا، لأن حماس معنية أولا وأخيرا باستعادة زخمها، بعد تجربة حكم فاشلة، أفقدتها محبة السواد الأعظم من الفلسطينيين في غزة. فعلى الأقل، سيكون الربح في حدود التمييز بين الحكم والمقاومة، أو بين السلطة الغليظة والقتال. معنى ذلك أن تصريحاً كتصريح الرجوب لن يعود عليه وعلى الرئيس عباس بأي فائدة، لا على مستوى الرأي العام الفلسطيني، ولا على المستوى السياسي، ولا على الصعيد التطهر من أثار مرحلة طويلة، تخللتها كل الانحرافات. أما تصريح الشيخ فيظل في موضع السخرية، لافتقاده إلى الحد الأدنى من المنطق. لكن الرجوب تحديدا لم يفتن إلى أمر مهم، وهو أن ما قبل بعد المعركة، كان يتعلق بمسار سياسي، وقد تقرر أن يزور وزير الخارجية الأميركي إسرائيل ورام الله الأربعاء والخميس، وأن الكلام يجري عن إعادة مشروطة لإعمار غزة. إن كل ما كان يقصد الرجوب هو استرضاء حماس وتقديم قيادة فتح إليها، باعتبارها مؤيدة لسلح حماس، علما وأن هذه القيادة ليست كذلك، وإن أخذنا على محمل الجد تصريح محلل إسرائيلي في حوار على شاشة كاتل للتلفزيون الإسرائيلي، سيكون الأمر مناقضا لما قاله الرجوب. فالمحلل الإسرائيلي يقول إن مسؤولا فلسطينيا قال له عبر الهاتف عاتبا أو زاجرا، لماذا لا تدخلوا إلى غزة للقضاء على حكم حماس. وقد سمعت بعد ذلك، على

المستوى السياسي الرسمي في أوروبا والولايات المتحدة، أصدا لما قاله ذلك المحلل. فالأوروبيون يشترطون للإسهام في الإعمار أن ينتهي وضع غزة من حيث أنها منطقة مسلحة يمكن أن تعود إلى إطلاق الصواريخ. أما الأميركيون فقد بدأوا محاولة تاهيل عباس لحكم غزة، بطريقة أو أخرى، وقال الرئيس جو بايدن إنه يريد عباس رئيسا للشعب الفلسطيني، وبدا في المناخ العام أن هناك شيئا مسكوتا عنه، فالمسائل تتجاوز اهتمام الرجوب بإعادة الزخم لمشروع مصالحة فلسطينية

يكون لحماس فيها كل ما تمتلك، من سلاح وسلطة فعلية في غزة، وتذهب إلى تأمين مناصريها في الضفة والمشاركة في إدارتها. إن هذا منحى لا تحتمله ولا تستطيعه سلطة عباس، ولن تستسكت عنه إسرائيل، وبالتالي لا يعود كونه نوعا من الثرثرة الفارغة. تصريحات غانتس الأربعة، فيها تعبير عن النوايا المستقبلية، وهذه لم تات من فراغ. فالرجل يقول إننا مستعدون لاحتلال غزة إذا لزم الأمر. وقد جاءت هذه التصريحات بالتزامن مع العديد من الممارسات، في اليوم نفسه، للتأكيد على أن إسرائيل لم

تقلع عن الأعمال التي تسبب في إطلاق حماس الصواريخ، كأنما، من جهة، تريد من حماس أن تستمع وترى الخروقات وتصمت، فيتضاعل إحساسها بنشوة النصر المجازي، ومن جهة أخرى، إرسال إشارة إلى السلطة والإدارة الأميركية بأن إسرائيل لا تزال مستعدة للهجوم البري. حماس، من جانبها، شعرت سريعا بأن ما تحقق لغزة، من قدرة على إيلاء إسرائيل، يمكن جدا أن يتعرض لعملية إجهاض سياسي، من خلال عودة الأميركيين والإدارة الأميركية إلى لعبة العصا والجزرة.

الرأي العام الغربي إزاء الصور الصادمة من القدس إلى غزة

د. حطار أبو دياب
أستاذ العلوم السياسية المركز
الدراسي للديمقراطية - باريس

تغيرت طبيعة الصراعات والحروب وبعدها هيمنت الحرب الكلاسيكية طويلا، أتت الحروب غير المتكافئة بين الجيوش النظامية والحركات المسلحة لتمنع الحسم الواضح وبروز المتنصر الحقيقي، وعلى خلفية المشهد في المواجهات الأخيرة من القدس إلى غزة، خاض الطرفان حربا ضروسا على شبكات التواصل الاجتماعي وعبر وسائل الإعلام المرئي والمكتوب، وكانت السوشال ميديا مسرحا للمواجهة وراهن الجانب الفلسطيني والعربي على تغيير إيجابي في مواقف الرأي العام الغربي نتيجة تأثير الصور الصادمة. لكن هذا التأثير بقي نسبيا لأن تغيير حركة حماس وحلفائها لطبيعة المواجهة في "هبة القدس" من انتفاضة سلمية إلى قصف صاروخي انطلاقا من غزة (وما تبعها من رد إسرائيلي عنيف) أعاد الاستقطاب إلى الرأي العام الغربي الذي يتفهم غالبا الأطروحات الإسرائيلية ويدين تطرف حركات فلسطينية مرتبطة بانحدارات خارجية.

ولذلك فإن الجدول حول تصرف إدارة "فيسبوك" أو حول أهمية تعميم مشاهد معاناة المدنيين والقصف المفرط والتدمير، لن يغير مواقف دول وشعوب في العمق، بل تتطلب المواجهات الإعلامية المصادقية في نقل الأخبار وفي ضرورة بلورة سردية متماسكة مرتبطة بواقعية سياسية وليس بمنطق أيديولوجي عفا عنه الزمن، خاصة أن ربط القضية الفلسطينية بحسابات قوى إقليمية غير عربية أبرزها إيران لن يقود إلا إلى المزيد من تاجيج الصراع لغير صالح الفلسطينيين، ويمتد الجانب الإسرائيلي وخاصة جناحه المتطرف الذريعة للمزيد من الإنكار للحق الفلسطيني.

خلال مواجهات القدس والضفة الغربية والداخل الإسرائيلي وحرب غزة 2021 احتدم الصراع بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وخاض الطرفان حربا

من دون هودة على شبكات التواصل الاجتماعي (فيسبوك وتويتر ويوتيوب وتيك توك وإنستغرام وغيرها) عبر صور ومقاطع فيديو بعضها مزلل أو قديم. وفي الحروب المعاصرة مع الثورة الرقمية والحرب الإلكترونية، هناك بعض القيود القانونية ولكن مساحات الحرية نقلت الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني إلى العالم الافتراضي وأصبح هذا الصراع أكثر حدة مع تطور استخدامات الإنترنت وأجهزة الهاتف الذكية.

يعد السجال حول الشعارات والتعابير من الأشكال الأخرى للمعارك الإعلامية، إذ قامت وكالات الأنباء العالمية ووسائل الإعلام في الغرب بتقديم الحرب الأخيرة على أنها "طفرة عنف جديدة" فيما ركز أنصار الفلسطينيين على أن المعركة هي من أجل "العدل والحرية". أما الصورة الرائجة في الغرب على طاقتية الصراع الذي يدور بين المسلمين الفلسطينيين واليهود الإسرائيليين، فقد تراجعت عند بعض العيّنات التي تؤيد حركة تحرير الشعب الفلسطيني ضد "شكل جديد

من الاستعمار". لكن قيادة حركة حماس الإسلامية الطابع للعمليات العسكرية، وربطها بالحرس الثوري الإيراني الذي يدعو إلى زوال إسرائيل، لا يساعدا على تحولات جدية في الرأي العام الغربي.

في حرب الصور والعقول للصراع غير المتكافئ بين الإسرائيليين والفلسطينيين تبين أنه لا يمكن لأحد أن يربح أو يخسر كما في الحروب التقليدية وأن معارك العالم الافتراضي ستتواصل مع تراكم الكراهيات والأحقاد

بالطبع، سلطت قضية "حي الشيخ جراح" الأضواء على البعد الإنساني والقانوني للحقوق الفلسطينية وأثر ذلك على الرأي العام العالمي ومن خلال

مشاهير أو نجوم من أصول عربية أو إسلامية أو من متعاطفين مع القضية الفلسطينية أسهموا بإبراز سردية فلسطينية عن المظلومية تقابل الدعاية الإسرائيلية التاريخية. تعددت أشكال معارك التواصل الاجتماعي إذ أن هناك إحصاء متداول يقول بوجود 4 مليارات هاشتاغ مؤيد لفلسطين الحرة، وهذا الرقم خيالي لكنه لا ينفي اتساع الدعم عالميا، لكن مدى التأثير على توجهات الرأي العام من الولايات المتحدة إلى أوروبا وكندا وأستراليا لا يرتبط فقط بمشاهد آتية من قلب الحدث، بل بمعطيات متعددة ومنها ما يتصل بتطورات داخل البلدان والمنظومات نفسها.

إذا أخذنا الولايات المتحدة نجد أن الجيل الصاعد لا يقرأ بغالبية الصحف الكبرى ولا يشاهد القنوات مثل "سي.أن.أن" أو "فوكس نيوز"، بل يتابع الأخبار عبر وسائل التواصل الاجتماعي، فيشاهد مثلا مباشرة ما يجري على الأرض في المسجد الأقصى وفي أحياء القدس. وبما أن هناك انقسامًا أميركيا عميقًا بين الإنجليبيين

والمؤيدين لإسرائيل من جهة وفريق من الملونين واليساريين مؤيد للفلسطينيين من جهة أخرى، انعكس ذلك على الرواية الإسرائيلية التي كانت سائدة وأخذت تبرز مسألة حقوق الفلسطينيين عند الشباب والمكونات من الأقليات العرقية.

وعبر تيار بيرني ساندرز واليسار في الحزب الديمقراطي وبعض ممثلي الطبقة الوسطى فيه، حصل تحول ضد السياسة الإسرائيلية لم يؤثر بعمق على خيارات إدارة بايدن المؤيدة لإسرائيل، لكنه دفع الرئيس لممارسة ضغوط على نتنياهو من أجل التوصل إلى وقف إطلاق النار والحؤول دون المعركة البرية. بيد أنه بالإمكان القول إن التحول المحدود في الرأي العام الأميركي لم يبات من الصور الصادمة أو من معركة وسائل التواصل في المقام الأول، بل كان انعكاسا للانقسام الذي ترسخ خلال حقبة دونالد ترام وتمت ترجمته في أوائل عهد بايدن.

أما في أوروبا الغربية وشمال أوروبا، فقد طغى حضور المسلمون على حركات دعم الفلسطينيين، ولم يعد الشرق الأوسط من أولويات اهتمام البسار الأوروبي المنكب على قضاياها الداخلية، أما اليمين المتشدد الذي كان متهمًا بالعداء للسامية في فترات سابقة، فقد حصلت فيه تحولات لصالح إسرائيل خاصة عند حزب مارين لوبان في فرنسا وأحزاب مماثلة من المجر إلى ألمانيا. وهكذا في الإجمال لم يكن التحول كبيرا عند الرأي العام الأوروبي الصراع الحالي هو نتيجة الأزمات السياسية العميقة في إسرائيل وداخل الحركة الفلسطينية، وصعود الهوية القومية والدينية التي تهين على العسكريين.

في الخلاصة، تبين أيضا في حرب الصور والعقول أنه في الصراع غير المتكافئ بين الإسرائيليين والفلسطينيين، لا يمكن لأحد أن يربح أو يخسر كما في الحروب التقليدية وأن معارك العالم الافتراضي ستتواصل كما تراكم الكراهيات والأحقاد ما دامت العدالة والإنسانية ليستا على الموعد في الشرق الأوسط المازوم.

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

مختار الدبابي

كرم نعمة

منى المحروقي

مدير النشر

علي قاسم

المدير الفني

سعيدة العقبوي

تصدر عن

Al-Arab Publishing House

المكتب الرئيسي (لندن)

The Quadrant

177 - 179 Hammersmith Road

London, W6 8BS, UK

Tel: (+44) 20 7602 3999

Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان

Advertising Department

Tel: +44 20 8742 9262

ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk

editor@alarab.co.uk

